جامعة البصرة

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم علوم القرآن الكريم

المرحلة **الثانية**

السيرة النبوية

الدكتور : أحمد فرج

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢ – مع تأسيس الحكومة الإسلامية في المدينة استقام مجتمع المسلمين حدوداً قد تبين صفوف المسلمين عن بقية سكان المدينة تماماً ؛ لذا ما كان من الضرورة الاتجاه نحو بيت المقدس، مما جعل النبي (صلى الله عليه وآله) يتطلع لتحويل القبلة، فحينئذ حوّلت القبلة إلى الكعبة وبيت الله الحرام تلك البقعة التي طالما كانت مركزاً لأنبياء الله ، مع نزول آية القبلة وبأمر من الله قام المسلمون وتوجهوا في صلواتهم إلى الكعبة تمييزاً عن اليهود وقبلتهم بيت المقدس .

٣ – بعد أن هاجر النبي (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة قام اليهود باستغلال موقف مسلمين باتخاذهم بيت المقدس قبلة لهم ، وكان اليهود يرون ذلك علامة على النقص في الإسلام وأحقيتهم ، فبناءً على بعض الروايات كان يهود المدينة يدّعون أن المسلمين ما كان لديهم قبلة، بل اليهود هم الذين وجهوهم إلى بيت المقدس .

٤ – من الحكم التي تكمن خلف هذه القضية هي سنة ابتلاء المسلمين ؛ لأنّ من كان مطيعاً ومخلصاً لله في عقيدته تقبّل هذا الأمر دون أي اعتراض ، لكن من كان متزلزلاً في مبادئه، ولم يصل إلى درجة تفويض الأمور إلى الله ضم صوته إلى صوت اليهود المحتجين على تحويل القبلة ، فكانوا يرون من الصعب تقبّل هذه القضية، فهذا الامتحان كان من الاختبارات الإلهيّة الصعبة للمسلمين .

****

سراياه وغزواته (صلّى الله عليه وآله) قبل معركة بدر :

هنا يبدأ المؤرخون بذكر غزواته وسراياه (صلى الله عليه وآله) ، ويقصدون بـ (الغزوة) : الجيش الذي يخرج فيه (صلى الله عليه وآله) بنفسه ، وبـ (السرية) : البعث الذي لا يكون رسول الله « صلى الله عليه وآله » فيه .

وقد اختلفت كلماتهم في عدد غزواته وسراياه اختلافاً كثيراً ، ولا نرى حاجة لإطالة الكلام في تحقيق ذلك .

وصية النبي « صلى الله عليه وآله » للسرايا :

كان « صلى الله عليه وآله » إذا أراد أن يبعث سرية دعاهم ، فأجلسهم بين يديه ، ثم يقول : « سيروا باسم الله ، وبالله ، وفي سبيل الله ، وعلى ملة رسول الله ، ولا تغلوا ولا تمثلوا ، ولا تغدروا ، ولا تقتلوا شيخاً فانياً ، ولا صبياً ، ولا امرأة ، ولا تقطعوا شجراً إلا أن تضطروا إليها ، وأيما رجل من أدنى المسلمين أو أفضلهم نظر إلى رجل من المشركين ، فهو جار ، حتى يسمع كلام الله ؛ فإن تبعكم ، فأخوكم في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الدين ، وإن أبى فأبلغوه مأمنه ، واستعينوا بالله عليه ... الخ»

السرايا الأولى :

يذكر المؤرخون ، أنه :

١ – بعد سبعة أشهر من مقدمه « صلى الله عليه وآله » المدينة عقد لحمزة بن عبد المطلب على ثلاثين من المهاجرين ، ليلقوا أبا جهل ؛ فلقوه ، وهو في ثلاثمائة من المشركين ، لكن مجدي بن عمرو الجهني الذي كان موادعاً للفريقين ، حجز بينهما ، وانصرفوا من غير قتال .

٢ – ثم كانت غزوة الأبواء بعد مقدمه « صلى الله عليه وآله » بسنة أو أكثر ، أو أقل ، خرج فيها النبي « صلى الله عليه وآله » بنفسه يريد قريشاً ، وبني مرة بن بكر ، فتلقاه سيد بني مرة بالأبواء ، فصالحه ، ثم رجع « صلى الله عليه وآله » إلى المدينة .

٣ – وبعدها بأيام قلائل كانت غزوة العشيرة ، ووادع فيها بني مدلج ، وحلفاءهم من بني ضمرة ، ثم رجع إلى المدينة ، ولم يلق كيداً ، وفيها كني علي « عليه السلام » بأبي تراب .

لماذا هذه السرايا ؟ :

١ – انها جرأت المسلمين ، وأعادت لهم الثقة بأنفسهم ، وأعدتهم ليواجهوا – على قلة العدد والعدة – ألف فارس من قريش ، وهي في أوج خيلائها وعزتها ، ولم يعد ذلك مفاجأة للمسلمين ، ولا مرهباً لهم .

٢ – الموادعات والتحالفات : فقد نتج عن تلك السرايا مهادنات وموادعات ، وتحالفات على النصر ضد العدو ، بين المسلمين وبين كثير من القبائل المتواجدة في المنطقة ، حينما شعرت تلك القبائل بقوة المسلمين ، وقدرتهم على التحرك ، وبتصميمهم على مواجهة حتى قريش بالحرب .

ومن الطبيعي أن ينتج عن هذه المعاهدات والتحالفات تخوف ورعب في قلوب سائر القبائل القريبة من المدينة ، بحيث لا بد لتلك القبائل من التفكير ملياً قبل أن تقدم على أي عمل ضد المدينة مباشرة ، أو بواسطة التحالف مع أعداء المسلمين ، وذلك لأنها ترى بالفعل : أن ثمة قوة ضاربة ، لا بد من صياغة التعامل معها بحيث لا يضر بمستقبل مصالحها في المنطقة ، وبهذا يتحقق للمدينة نوع من الشعور بالأمن والاستقرار ، ويمكن المسلمين – من ثم – من أن يتحركوا بحرية أكثر ، في مواجهاتهم لقريش، وهو ما ظهر في حرب بدر ، وبعدها .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما أن هذه الموادعات والتحالفات كانت بمثابة صدمات نفسية ، بل هي صفعات مؤلمة لقريش ، التي ترى الآن كيف أن المسلمين قد أصبحوا قوة يرهب جانبها ، ويسعى الكثيرون إلى عقد التحالفات الدفاعية معها ، وعلى الأخص من القبائل التي تقع على طريق تجارة مكة ، وكانت تعتبرها قريش سنداً وعوناً لها ، كلما أهمها أمر ، أو تعرضت لخطر .

أضف إلى ذلك كله ، أنه لم يعد باستطاعة قريش أن تعقد تحالفات مع تلكم القبائل القريبة من المدينة ، وتتخذ منها قوة ضاغطة على المدينة ، ووسيلة لمضايقته .

٣ – مضايقة قريش : إن هذه السرايا كانت تهدف إلى الضغط على قريش اقتصادياً ، وكذلك نفسياً أيضاً ، وتعريفها : أن المسلمين سوف لن يتركوها حرة في المنطقة ، ما دامت قد شردتهم ، وآذتهم وسلبتهم أموالهم ، وقتلت منهم .

وقد شرط النبي « صلى الله عليه وآله » على المشركين في وثيقة العهد المتقدمة ، أن يقطعوا صلاتهم بالمشركين الآخرين .

ويلاحظ : أنه لم يكن ثمة إصرار على قتال قريش ، ومناجزتها الحرب ، ولذلك قبل حمزة بوساطة الجهني ، وهذا يعزز الاستنتاج القائل : إن المقصود من تلك السرايا هو تعريف قريش : أنها لم تعد تملك حرية الحركة في المنطقة ، ولا هي سيدة الموقف ، ولا تستطيع بعد الآن أن تأمن على قوافلها التجارية إلى الشام ، إلا بالعودة إلى منطق التعقل ، والروية ، والحكمة ، والتخلي عن منطق الظلم والغطرسة والتجبر ، وأن عليها مراجعة حساباتها ، لتقتنع بأنه إذا كان حسم الموقف عسكرياً صعباً جداً بالنسبة إليها ، فما عليها إلا أن ترضخ للأمر الواقع ، وتعترف بما لا بد لها من الاعتراف به ، إن عاجلاً ، وإن آجلا ، وإلا ، فلتأذن بحرب من الله ورسوله لا تنتهي إلا بتدمير عنفوانها ، وتحطيم كبريائها ، وهكذا كان .

محاولة قرشية فاشلة قبل معركة بدر :

وبعد مضي مدة على وجود النبي الأعظم « صلى الله عليه وآله » والمسلمين في المدينة ، كتب كفار قريش إلى عبد الله بن أبي بن سلول ، ومن كان يعبد الأوثان من الأوس والخزرج ، ورسول الله « صلى الله عليه وآله » يومئذٍ بالمدينة – قبل وقعة بدر – يقولون : « إنكم آويتم صاحبنا ، وإنكم أكثر أهل المدينة عدداً ، وإنا نقسم بالله ، لتقتلنه ، أو لتخرجنه ، أو لنسيرن إليكم بأجمعنا ، حتى نقتل مقاتلتكم ، ونستبيح نساءكم » .

فلما بلغ ذلك ابن أُبي ومن معه من عبدة الأوثان تراسلوا ؛ فاجتمعوا ، وأجمعوا لقتال النبي « صلى الله

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عليه وآله » .

فلما بلغ ذلك النبي « صلى الله عليه وآله » وأصحابه لقيهم في جماعة ، فقال : « لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ ، ما كانت لتكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم . فأنتم هؤلاء تريدون أن تقتلوا أبناءكم وإخوانكم » .

فلما سمعوا ذلك من النبي « صلى الله عليه وآله » تفرقوا ؛ فبلغ ذلك كفار قريش ، وكانت وقعة بدر .

****

الانتداب إلى بدر (معركة بدر) :

*بدر : هي ماء يقع بين مكّة والمدينة أسفل وادي الصفراء، وتقع بدر غرب المدينة على بعد يقرب من ١٥٠ كلم، وتبعد عن مكّة ما يقرب من ٣٤٠ كلم .

وفي السنة ٢ هـ ، في ١٧ من شهر رمضان المبارك كانت حرب بدر العظمى بين المسلمين ومشركي مكة .

وذلك أن القافلة التي طلبها المسلمون في غزوة العشيرة وأفلتت منهم إلى الشام ، ظل النبي « صلى الله عليه وآله » يترقبها ، حتى علم بعودتها ، وكانت بقيادة أبي سفيان ، مع ثلاثين ، أو أقل ، أو أربعين ، أو سبعين راكباً ، وفيها أموال قريش ؛ حتى قيل : إن فيها ما قيمته خمسون ألف دينار ، في ذلك الوقت الذي كان فيه للمال قيمة كبيرة .

فندب رسول الله « صلى الله عليه وآله » المسلمين للخروج إليها ؛ فانتدب الناس ؛ فخف بعضهم ، وثقل آخرون ، ولعلهم تخوفوا من كرة قريش عليهم ، حينما لا بد لها من محاولة الانتقام لهذا الإجراء الذي يستهدف مصالحها الحيوية .

يقول عدد من المؤرخين : « وأبطأ عن النبي « صلى الله عليه وآله » كثير من أصحابه ، وكرهوا خروجه » ، وقد حكى الله تعالى ذلك ، فقال : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾ .

وخرج المسلمون يريدون القافلة ، وعلم أبو سفيان بالأمر ، فأرسل إلى قريش يستنفرهم لنجاة القافلة .

موقف قريش :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وما بقي أحد من عظماء قريش إلا أخرج مالاً لتجهيز الجيش ، وقالوا : من لم يخرج نهدم داره ، فلم يتخلف رجل إلا أخرج مكانه رجلاً .

النبي (صلّى الله عليه وآله) يستشير في أمر الحرب :

لما كان المسلمون قرب بدر ، وعرفوا بجمع قريش ، ومجيئها ، خافوا وجزعوا من ذلك ؛ فاستشار النبي «صلى الله عليه وآله » أصحابه في الحرب ، أو طلب القافلة .

فقام أبو بكر ، فقال : يا رسول الله ، إنها قريش وخيلاؤها ، ما آمنت منذ كفرت ، وما ذلت منذ عزت ، ولم تخرج على هيئة الحرب ، فقال له رسول الله « صلى الله عليه وآله » : إجلس ؛ فجلس ؛ فقال «صلى الله عليه وآله » : أشيروا عليّ ، فقام عمر ، فقال مثل مقالة أبي بكر ، فأمره النبي « صلى الله عليه وآله » بالجلوس ، فجلس .

ثم قام المقداد فقال : يا رسول الله ، إنها قريش وخيلاؤها ، وقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا : أن ما جئت

به حق من عند الله ، والله لو أمرتنا : أن نخوض جمر الغضا (نوع من الشجر صلب) ، وشوك الهراس لخضناه معك ، ولا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ ، ولكنا نقول : إذهب أنت وربك ؛ فقاتلا ، إنا معكم مقاتلون ، والله لنقاتلن عن يمينك وشمالك ، ومن بين يديك ، ولو خضت بحراً لخضناه معك ، ولو ذهبت بنا برك الغماد لتبعناك ، فأشرق وجه النبي « صلى الله عليه وآله » ، ودعا له ، وسُر لذلك ، ومن الواضح : أن سرور النبي « صلى الله عليه وآله » بكلام المقداد ، ودعاءه له يدل على أن كليهما (أعني أبا بكر وعمر) لم يكن منسجماً مع ما كان يهدف إليه النبي « صلى الله عليه وآله » .

ثم توجه النبي « صلى الله عليه وآله » إلى الأنصار : وقال : أشيروا عليّ ، لأن أكثر الناس منهم ؛ ولأنه كان يخشى أن يكونوا يرون : أن عليهم نصرته في المدينة ، إن دهمه عدو ، لا في خارجها ، فقام سعد بن معاذ فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ؛ إنا قد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به حق من عند الله ، فمرنا بما شئت ، والله ، لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك ، ولعل الله يريك ما تقر به عينك ؛ فسر بنا على بركة الله .

فسُر النبي « صلى الله عليه وآله » ، وأمرهم بالمسير ، وأخبرهم بأن الله تعالى قد وعده إحدى الطائفتين ، ولن يخلف الله وعده ، ثم قال : والله ، لكأني أنظر إلى مصرع أبي جهل بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة ...الخ ، وسار حتى نزل بدراً .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويظهر من بعض النصوص : أن الصحابة كانوا – في أكثرهم – يميلون إلى طلب القافلة ، وترك النفير ، وقد ذكر الله تعالى ذلك في قرآنه المجيد ، فهو يقول : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾

عدة وعدد المسلمين والمشركين :

وكان رسول الله « صلى الله عليه وآله » قد خرج في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، وكان تعدادُ جيش قريش ألفَ رجلٍ ، أي كانوا يشكِّلون ثلاثة أضعاف جيش المسلمين من حيث العدد تقريباً .

ولما بلغ المسلمين كثرة المشركين ، خافوا ، وتضرعوا إلى الله ، وعن أبي جعفر الباقر « عليه السلام » : لما نظر النبي « صلى الله عليه وآله » إلى كثرة المشركين ، وقلة المسلمين ، استقبل القبلة ، وقال : «اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض » ؛ فنزلت الآية : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ المَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ .

المواجهة :

ولما أصبح رسول الله « صلى الله عليه وآله » عبأ أصحابه ، وكانت رايته مع أمير المؤمنين « عليه السلام » ، وكان « عليه السلام » صاحب لواء رسول الله « صلى الله عليه وآله » في بدر ، وفي كل مشهد .

وقال أبو جهل يشجع أصحابه مشيراً إلى قلة عدد المسلمين : « ما هم إلا أكلة رأس ، لو بعثنا إليهم عبيدنا لأخذوهم أخذاً باليد » .

النبي (صلّى الله عليه وآله) لا يبدأ القتال :

ثم إننا نجد : أن النبي « صلى الله عليه وآله » لا يبدأ القتال ، ويأمر المسلمين أن لا يبدأوا به ، ويحاول أن يعطي الطرف الآخر الفرصة ، ويقدم له خيارات كلها فيها مخرج مشرف له ؛ فإذا أبى ذلك ، وطغى وبغى ، واعتدى على المسلمين ، فإن من حقهم أن يدافعوا عن أنفسهم ، وأن يردوا كيد المعتدي ، من كان ، ومهما كان .

وهكذا كان أمير المؤمنين « عليه السلام » مع أعدائه ، سواء في حياة النبي « صلى الله عليه وآله » ، أو بعد وفاته ، ثم كان هو حال الحسين (عليه السلام) مع جيش يزيد « لعنه الله » ، بل إن ذلك كان هو

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شعار شيعة أهل البيت (رضوان الله تعالى عليهم) ، اقتداءً بإمامهم ، الذي يقتدي بالنبي الأعظم « صلى الله عليه وآله » .

المبارزة :

وكان أول من برز للقتال عتبة ، وشيبة ، والوليد ؛ فبرز إليهم ثلاثة من الأنصار ، فقالوا لهم : ارجعوا ؛ فإنا لسنا إياكم نريد ، إنما نريد الأكفاء من قريش ، فأرجعهم النبي « صلى الله عليه وآله » ، وبدأ بأهل بيته ؛ لأنه كره أن تكون البدأة بالأنصار ، وندب عبيدة بن الحارث ، وحمزة ، وعلياً ، قائلاً : « قم يا عبيدة ، قم يا عم ، قم يا علي ، فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم إلخ » .

فسأل عتبة عنهم ، فأخبروه عن أنفسهم ، وسأل شيبة عن حمزة ، فقال له : أنا حمزة بن عبد المطلب ، أسد الله وأسد رسوله ، فقال شيبة : قد لقيت أسد الحلفاء ، فانظر كيف تكون صولتك يا أسد الله .

فقَتل علي « عليه السلام » الوليد ، وجاء فوجد حمزة معتنقاً شيبة ، بعد أن تثلمت في أيديهما السيوف ، فقال : يا عم طأطئ رأسك ، وكان حمزة طويلاً ، فأدخل رأسه في صدر شيبة ؛ فاعترضه علي بالسيف فطير نصفه (أي نصف رأسه) ، وكان عتبة قد قطع رجل عبيدة ، وفلق عبيدة هامته ، فجاء علي (عليه السلام) فأجهز على عتبة أيضاً ، فيكون أمير المؤمنين « عليه السلام » قد شَرك في قتل الثلاثة ، ومما يدل على أنه شرك في قتلهم جميعاً ، ما ورد في كتاب «المُقنع » من أن هنداً قالت :

ما كان لي عن عتبة من صبر * أبي ، وعمي ، وشقيق صدري

أخي الذي كان كضوء البدر * بهم كسرت يا علي ظهري

هزيمة المشركين :

وانجلت غبرة السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة، وظهرت بوادر انتصار المسلمين على أعدائهم المشركين، الذين انتابهم خوفٌ ورعبٌ شديدان، وإذا بهم ينهزمون أمام زحف المسلمين ويلوذون بالفرار، لا يلوون على شيء، والمؤمنون في أعقابهم يوسعونهم قتلً وأسرًا ، ولم تمض ساعة على انتهاء المعركة إلّا وكانت نتائجها قد ظهرت : هزيمة منكرة للمشركين وانتصار باهر للمسلمين .

نتائج الحرب :

وقتل في بدر سبعون من المشركين، وأسر مثلهم ، واستشهد من المسلمين ، قيل تسعة ، وقيل أحد عشر ، وقيل : أربعة عشر ، ستة من المهاجرين ، وثمانية من الأنصار ، ولم يؤسر من المسلمين أحد ،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner